المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القُرْآن الكَرِيم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم الله -عز وجل- من خلال توجيه القراءات عند المفسرين

اسم الباحث

د/ يوسف بن محمد العواضي

د. يوسف بن محمّد العواضي

تعظيم الله عزّ وجلّ

من خلال توجيه القراءات عند المفسرين

الملخص

يهدف هذا البحث لتسليط الضوء على جهود علماء التفسير في بيان تعظيم الله وإجلاله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في الآيات الواردة في أسماء الله وصفاته وأفعاله وأفعال مخلوقاته.

وتكمن إشكالية هذا البحث في كون تعظيم المعبود سبحانه وإجلاله ممَّا حفلت به آيات القرآن الكريم بمختلف قراءاته، إلَّا أنَّ جهود المفسرين في إبراز هذا التَّعظيم والإجلال كانت متفاوتة الدرجات، متباينة المناهج، من حيث إبراز أثر اختلاف القراءات في بيان التعظيم فمنهم من بين دلالة كل قراءة على ذلك، ومنهم من بين الدلالة بشكل عام، ومنهم من لم يتعرض لبيان ذلك. وتكمن أهمية هذا البحث في أن إبراز اختلاف القراءات في أسماء الله تعالى وصفاته وإجلاله له دور في إبراز تعظيم الله وإجلاله وزيادة بيانه ووضوحه من خلال الآيات.

وقد اتُّبع في هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي، وذلك بتتبع الآيات الواردة في أسماء الله وصفاته وأفعاله وأفعال مخلوقاته، وفيها أوجه متعددة للقراءات، ثم توصيف طريقة المفسرين في بيان التعظيم من خلالها. ومن أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث ما يلي:

١- ورد في هذا البحث في بيان تعظيم الله -عز وجل- من خلال توجيه القراءات في أسمائه وصفاته دراسة أقوال المفسرين في أحد عشر اسمًا وصفةً، وهي: الله، الولاية، الحق، الجلال، الإكرام، الخالق، القادر، الرب، العظيم، الكريم، المجيد. وردّ في كلٍّ منها قراءتان، منها ما نصَّ المفسرون صراحةً على دلالة اختلاف القراءتين فيها على التَّعظيم، ومنها ما أشار المفسرون إلى دلالة اختلاف القراءتين على التَّعظيم فيها، ومنها ما نصَّ المفسرون على التَّعظيم صراحةً، ولكن لم يربطوا ذلك بدلالة اختلاف إحدى القراءتين، وإنَّما بناء على المعنى العامّ للقراءتين.

٢- اختلاف طرق ومناهج المفسرين في بيان التعظيم من خلال تفسيرهم للقراءات، فمنهم من يذكر دلالة كل قراءة، ومنهم من يذكر الدلالة العامة لجميع القراءات، ومنهم من لا يذكر أي دلالة على التَّعظيم، وهم في ذلك بين مقلٍّ ومكثر.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فإنَّ الله -حسنت أسماؤه، وتقدَّست صفاته، وتنزَّهت أفعاله- ما خلق الخلق، وما أرسل الرُّسل إلَّا لعبادته -سبحانه- وامتثال أوامره.

وهذه العبادة في لُبِّها وإحسانها ما هي إلَّا تعظيم المعبود -سبحانه- وإجلاله، كما بيَّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله (سبحانه وتعالى)، والرِّسالة لعبده ورسوله، ثمّ لم يُتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثرُه على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتَّسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل= كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبًا لفساد ذلك الاعتقاد، ومزيلًا لما فيه من المنفعة والصلاح»[1].

وأشار ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ذلك أيضًا، حيثُ قال: «وَمِنْ مَنَازِلِ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ مَنْزِلَةُ التَّعْظِيمِ. وَهَذِهِ الْمَنْزِلَةُ تَابِعَةٌ لِلْمَعْرِفَةِ، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرَّبِّ (تعالى) في القلب، وأعرف النَّاس به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ الله تعالى من لم يعظِّمه حقَّ عظمته، ولا عرفه حقَّ معرفته، ولا وصفه حقَّ صفته، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾[نوح]، قال ابن عبَّاس ومجاهد: لا ترجون لله عظمةً، وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظِّمون الله حقَّ عظمته، وروح العبادة هو الإجلال والمحبَّة، فإذا تخلَّى أحدهما عن الآخر فسدت»[2].

والمتتبع لنصوص الشَّريعة الإسلامية من آيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يجدها حافلةً بإبراز تعظيم الله تعالى وإجلاله، وبيان فضل ذلك ومنزلته، إمَّا تصريحًا أو تلميحًا؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة]، قال ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويحتمل أن يكون المعنى: سبِّح لله بذكر أسمائه العلى، و(الاسم) هنا بمعنى الجنس، أي: بأسماء ربك، و﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ صفة للرَّبِّ، وقد يحتمل أن يكون (الاسم) هنا واحدًا مقصودًا،

---

(١) الصارم المسلول (٣٦٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٣).

ويكون ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ صفةً له، فكأنَّه أمره أن يسبحه باسمه الأعظم وإن كان لم ينصَّ عليه، ويؤيِّد هذا ويشير إليه إيصالُ (سورة الحديد) أولها، ففيه: التَّسبيح وجملة من أسماء الله تعالى، وقد قال ابن عبَّاس: اسم الله الأعظم موجودٌ في ستِّ آيات من أوَّل (سورة الحديد)، فتأمَّل هذا؛ فإنَّه من دقيق النَّظر، ولله تعالى في كتابه العزيز غوامضُ لا تكاد الأذهان تدركها»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثمّ الآية الرَّابعة جعلها الله بينه وبين عبده؛ لأنّها تضمنت تذلُّل العبد لربِّه، وطلب الاستعانة منه؛ وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى»[(٢)].

وأيضا قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢﴾[الرعد]. قال ابن جرير الطبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ابتغاء وجه ربِّهم، أي: طلبَ تعظيم الله وتنزيهًا له؛ أن يُخالف في أمره، أو يأتي أمرًا كُره إتيانُه، فيعصيه به»[(٣)].

وقد جسَّد النَّبيُّ ﷺ في سيرته العطرة تعظيمَ الله تعالى وإجلاله، وأوضحه في أكمل صوره وأسماها، ومن ذلك: ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمَّد، إنَّا نجد أنَّ الله يجعل السَّموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشَّجر على إصبع، والماء على إصبع، والثَّرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النَّبيُّ ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزُّمَر: ٦٧][(٤)]. وبيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ العظمة الكاملة المطلقة لا تنبغي إلَّا لله -جلَّ وعلا-، لا ينبغي منازعته فيها من أحد من خلقه، كما جاء في الحديث القدسي: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدَةً مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ**»[(٥)].

ولمَّا كانت أعظم الآيات القرآنية التي يتجلَّى فيها تعظيم الله تعالى وإجلاله= هي الآيات التي جاءت في بيان أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله، كما قال الشَّيخ محمَّد الأمين الشَّنقيطيُّ:

---

(١) المحرر الوجيز (٥/ ٢٥٥).
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩٤).
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٣/ ٥٠٩).
(٤) أخرجه البخاريُّ (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦).
(٥) أخرجه أحمد (٧٣٨٢)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤).

«إنَّ الإنسان إذا سمع وصفًا وَصَف به خالقُ السَّموات والأرض نفسَه، أو وَصَفه به رسولُه، فليملأ صدرَه من التَّعظيم، ويجزم بأنَّ ذلك الوصف بالغٌ من غايات الكمال والجلال والشَّرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزَّهًا معظَّمًا له (جلَّ وعلا)، غير متنجِّس بأقذار التَّشبيه»[1].

وقد توجَّهت عناية علماء التَّفسير إلى بيان ما في هذه الآيات من صفات الكمال، وإبراز ما فيها من معاني التَّعظيم لله والإجلال. وتركَّز اهتمامُ بعضهم أكثر في المواضع التي جاءت القراءات القرآنية مصرِّفةً لهذه الآيات على أوجه متعدِّدة من الأداء، حيثُ اجتهدوا في إبراز ما تضمنته هذه الأوجه من معاني التَّعظيم، وتقريب ما أشارت إليه من صفات الإجلال، إمَّا عن طريق بيان دلالة كلّ قراءة على حِدة، أو عن طريق بيان دلالة مجموع القراءات الواردة، ومن هنا: جاء هذا البحثُ الذي هو بعنوان: «**تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال توجيه القراءات عند المفسرين**»؛ لتسليط الضَّوء على جهود علماء التَّفسير في بيان تعظيم الله وإجلاله من خلال الآيات الواردة في أسماء الله وصفاته وأفعاله، وتعدَّدت أوجه القراءات فيها، والذي قُسمت مادته إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وهي كما يلي:

المقدمة: وفيها توطئة للموضوع.

المبحث الأوَّل: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الثَّاني: بيان تعظيم الله -عز وجل- من خلال توجيه القراءات في أسمائه وصفاته.

المبحث الثَّالث: بيان تعظيم الله -عز وجل- من خلال توجيه القراءات في أفعاله.

المبحث الرَّابع: بيان تعظيم الله -عز وجل- من خلال وتوجيه القراءات في أفعال مخلوقاته.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث والتوصيات

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، ص ٣٦، (الكويت: الدار السلفية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

المبحث الأول: تعريف المصطلحات

المطلب الأول: تعريف التعظيم

التعظيم لغة: مصدر: عَظّمَ، ومأخوذ من مادة ع ظ م، وهو في هذا الباب يدور حول معاني القوة والكِبَر والتبجيل والتقديس والتفخيم والتوقير[١]، والعظيم اسم من أسماء الله وصفة من صفاته.

ومن خلال النظر في المعنى اللغوي، وكلام العلماء حول التعظيم، والنظر في الآيات القرآنية، فيمكن تعريف تعظيم الله بأنه: معرفة عظمة الله، والتذلل له[٢]، وتقديسه وتوقيره[٣]، وتبجيله وتفخيمه، وتعظيمه وإجلاله في ملكه وسلطانه[٤]، وسائر صفاته وأفعاله، والتَّعظيم يكون بالقلب واللِّسان والعمل، والله أعلم.

المطلب الثاني: تعريف التوجيه

التَّوجيه لغة: مصدر: وجه يوجه توجيها، وهو من الوَجه، ووجهتُ الشيء جعلته على جهة[٥]. ووَجْهُ الكلام: السَّبيل المقصود به معناه[٦]، والتوجيه: إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم، وقيل: عبارة على وجه ينافي كلام الخصم[٧]، وقيل: بيان وجه الكلام[٨].

وفي الاصطلاح: توجيه القراءات: علم يبحث فيه عن معاني القراءات، وعن وجوهها في اللغة العربية[٩]، وعند المفسرين يراد به أحد معنيين: الأول: بيان وجه الكلام الظاهر ومعناه المباشر، والثاني: التماس وجه الكلام الخفي، أو التعليل لما يتوهم فيه من إشكال[١٠].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح (عظم ١/ ٢١٢)، والقاموس المحيط (١/ ١١٣٩)، ولسان العرب (١٢/ ٤٠٩).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٦٤).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾[الفتح].

(٤) جاء في معنى العظيم أنَّه: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه، ينظر: اشتقاق أسماء الله (١١١).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (وجه ٦/ ٨٩).

(٦) معجم اللغة العربية المعاصر (وجه ٣ / ٢٤٠٨).

(٧) التعريفات (١/ ٦٩).

(٨) ينظر: العون الكبير شرح الفوز الكبير في أصول التَّفسير (١٩٨). وانظر: فن التوجيه عند المفسرين (١٢).

(٩) توجيه مشكل القراءات العشرية (٦٥).

(١٠) انظر: فن التوجيه عند المفسرين (١٣).

وإجرائيًّا: يقصد به الباحثُ كلامَ المفسرين في المواضع التي ذكروا فيها القراءات، وفيه دلالة على تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- بالنَّصِّ أو الإشارة.

المبحث الثاني: بيان تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال توجيه القراءات في أسمائه وصفاته

المتتبع لكلام علماء التفسير يجدهم يوجهون عنايتهم إلى إبراز الألفاظ والمعاني التي تدل على تعظيم الله عز وجل من خلال أسمائه وصفاته، إما بالنص الصريح، أو بالإشارة إلى ذلك، وسيذكر البحث أمثلة على ورود ذلك أثناء تفسيرهم للآيات القرآنية التي ذكرت فيها قراءات متعلقة بأسماء الله وصفاته، على سبيل المثال لا الحصر.

المطلب الأول: بيان تعظيم الله -عز وجل- من خلال توجيه القراءات في اسم الجلالة (الله)

في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[إبراهيم].

قرأ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ برفع لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾: نافعٌ وأبو جعفر وابن عامر، وقرأ بقية العشرة بالجر ﴿ٱللَّهِ﴾، وقرأ رويسٌ عن يعقوب بالرَّفع في الابتداء، وبالجرِّ في الوصل[1].

ذكر الإمام ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره اختلاف القُرَّاء في قراءة اسم الجلالة (الله)، وعلَّل قراءة الرَّفع بأنَّ لفظ الجلالة في موقع الخبر لمبتدأ محذوف، والتَّقدير ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ هو ﴿ٱللَّهُ﴾ الموصوف بـ ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، وهذا الحذف جار على حذف المسند إليه، ويُسمَّى عند علماء المعاني بالحذف لمتابعة الاستعمال، أي: استعمال العرب عند ما يجري ذكر موصوف بصفات، أن ينتقلوا من ذلك إلى الإخبار عنه بما هو أعظم ممَّا تقدَّم ذِكره؛ ليكسب ذلك الانتقالُ تقريرًا للغرض.

وعلَّل قراءة الجرِّ بأنَّ اسمَ الجلالة في موقع البدل، على أنَّه طريقة من طرق العربية في التَّعبير، ثمَّ قال: «ومآل القراءتين واحدٌ، وكلتا الطَّريقتين تفيد أنَّ المنتقل إليه أجدرُ بالذِّكر عقب ما تقدَّمه، فإنَّ اسم الجلالة أعظمُ من بقية الصِّفات؛ لأنَّه علم الذَّات الذي لا يشاركه موجود في إطلاقه، ولا في معناه الأصلي المنقول منه إلى العلمية، إلَّا أنَّ الرَّفع أقوى وأفخم»[2].

---

(١) انظر: شرح طيبة النشر، ابن الناظم (٣٢١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/ ١٨١-١٨٢)، ولعل اختيار قراءة الرفع كون قراءة نافع هي المنتشرة في تونس، لذا؛ كان الرَّفع عنده هو المقدَّم، والله أعلم. وإلَّا فقراءة الجرِّ هي قراءة الجمهور، ولها المكانة نفسها من القوَّة والدَّلالة على التَّعظيم معنًى ولغةً.

من خلال ما تقدَّم يلاحظ أنَّ الإمام ابن عاشور حرص على إبراز تعظيم لفظ الجلالة (الله)، من خلال توجيهه وتفسيره للقراءتين معًا، وكأنَّه يشير إلى أنَّ من اختار قراءة الرَّفع كان اختياره على أساس أنَّ الرَّفع أبلغُ في إظهار تعظيم الله عزَّ وجلَّ، وأنَّ من اختار قراءة الجرِّ فقد اختارها على أنَّ الجرَّ أبلغ في التَّعبير عن تعظيم الله جلَّ وعلا.

وقد ذكر الإمام الشَّوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ قراءة الجمهور بالجرِّ على أنَّ ذلك من عطف البيان؛ لكونه من الأعلام الغالبة، فلا يصحّ وصف ما قبله به؛ لأنَّ العلم لا يوصف به[(١)].

ومن قبله الزمخشريُّ؛ ذكر أنَّ الجرَّ على أنَّه عطف بيان؛ «لأنَّه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته، واختصاصه بالمعبود الذي تحقُّ له العبادة، كما غلب النَّجم في الثُّريا»[(٢)].

فنجد هنا: أنَّ الشَّوكانيَّ والزَّمخشريَّ وغيرهما قد علَّلوا قراءة الجرِّ بأنَّ لفظ الجلالة (اللهِ) من الأعلام الغالبة، وفي هذا التَّعليل دلالة بيِّنة على أنَّ المقصود من ذلك: هو تعظيم اسم لفظ الجلالة (الله).

المطلب الثاني: بيان تعظيم الله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في صفتي (الولاية والحق)

قال الله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾[الكهف].

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ: ﴿الوِلَايَةَ﴾ بكسر الواو، وقرأ الباقون: ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بفتح الواو، وقرأ أبو عمرو والكسائي برفع ﴿الحَقُّ﴾، وقرأ الباقون ﴿ٱلْحَقِّ﴾ بالجرِّ[(٣)].

ذكر المفسرون ألفاظًا تدلُّ على العظمة أثناء تبيينهم لأوجه القراءات في هذه الآية، وأغلب المفسرين على أنَّ قراءة ﴿الوِلَايَةَ﴾ بكسر الواو تدلُّ على الملك والقهر والسَّلطنة.

وهذه الألفاظ لا شكَّ أنّها تدلّ على تعظيم الله -سبحانه وتعالي-؛ فالملك القاهر لجميع الخلق لا يكون إلَّا عظيمًا، -وقد ذكرنا دلالة ذلك عند تعريف التَّعظيم- كذلك فُسِّرت قراءة ﴿ٱلْحَقِّ﴾ بالجرِّ على أنَّه صفة الجلالة، ولفظ الجلالة يدلُّ على تعظيم الله جلَّ وعلا، وقد رجَّح ابنُ جرير الطبري قراءة ﴿الوِلَايَةَ﴾ بكسر الواو؛ لأنّها تدلّ على التَّفرد بالملك والسلطان، فقال: «وأولى القراءتين في ذلك بالصَّواب، قراءة من قرأ بكسر الواو؛

---

(١) ينظر: فتح القدير (٣/ ١١٢).

(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٥٣٧).

(٣) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٣٦٧).

وذلك أنَّ الله عقَّب ذلك خبرَه عن مُلكه وسلطانه، وأنَّ من أحلَّ به نقمته يوم القيامة فلا ناصر له يومئذ، فاتِّباع ذلك الخبر عن انفراده بالمملكة والسُّلطان= أولى من الخبر عن الموالاة التي لم يجرِ لها ذِكرٌ ولا معنى»[١].

وهذا يدلُّ على أنَّ اختيار الإمام الطبريِّ لقراءة كسر الواو منشأُه بيانُ تعظيم الله -عزَّ وجلَّ-، كذلك القولُ في قراءة الجرِّ في ﴿ٱلۡحَقِّ﴾، فقد اختار الطبري هذه القراءة لأنَّها نعتٌ ﴿لِلَّهِ﴾ فيكون المعنى: «هنالك الولاية لله الحقّ ألوهيته، لا الباطل ألوهيته التي يدعونها المشركون بالله آلهة»[٢].

وهذا التَّعليل يدلُّ على أنَّ الطبري اختار قراءة الجرِّ؛ لبيان تعظيم الله في هذا الموقف، والله أعلم. على أنَّ قوله: «وأولى القِراءتين بالصَّواب هي قراءة الكسر» فيه نظرٌ؛ فكلا القراءتين صواب، بل قراءة الفتح هي قراءة جمهور العشرة.

ومن أقوال المفسرين في هذا الصَّدد قول محمّد صِدِّيق خان: «﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في ذلك المقام، وقيل يوم القيامة، ﴿ٱلۡوَلَٰيَةُ﴾ -بفتح الواو-: النُّصرة، وبكسرها المُلك، أي: القهر والسَّلطنة، ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يقدر عليها غيره، ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ بالجرِّ صفةُ الجلالة، وبالرَّفع صفة الوِلاية، وكلٌّ منهما راجع لفتح الواو وكسرها، فالقراءات أربعة وكلُّها سبعية، قال الزَّجَّاج: ويجوز النَّصب على المصدر والتَّوكيد، كما تقول هذا لك حقًّا، وقيل: هو على التقديم والتأخير، أي: الولاية لله الحقّ هنالك»[٣].

وبنحو هذا قال أغلب المفسرين.

المطلب الثالث: بيان تعظيم الله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في صفتي (الجلال والإكرام)

قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨﴾ [الرحمن].

اختلف القُرَّاء في قراءة ﴿ذِي﴾، فقرأ ابن عامر ﴿ذُو﴾، بضم الذَّال وبالواو، على الرَّفع صفة لـ﴿ٱسۡمُ﴾، وقرأ بقية العشرة ﴿ذِي﴾، بكسر الذَّال وبالياء، على الجرِّ صفة لـ﴿رَبِّكَ﴾، والقراءتان متواترتان[٤].

---

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن (١٨/ ٢٨).
(٢) ينظر: المصدر السابق نفسه.
(٣) فتحُ البيان في مقاصد القرآن (٨/ ٥٧).
(٤) ينظر: التيسير في القراءات السبع (٢٠٧)، وإتحاف فضلاء البشر، الدمياطي (٥٢٨).

وجَّه المفسِّرون هاتين القراءتين ببيان تعظيم الله عزَّ وجلَّ، فسواء كانت صفةً للاسم أو للذَّات، فالجلال معناه العظمة والكبرياء والإكرام، والنِّهاية في الفضل والإحسان، وهذا لا يكون إلَّا من عظيم. فجعلها صفةً للاسم -على قراءة الرَّفع- فيه دلالةٌ على أنَّ الجلال اسمُ الله الأعظم. وقيل: بل أسماؤه كلُّها عظيمة، فكلُّ اسم له عظيمٌ. وهذه القِراءة تدلُّ على ذلك أيضًا لإطلاق الاسم، وقراءة الجرِّ تدلُّ على عظمة الذَّات.

ومن أقوال المفسرين في تفسير القراءتين: ما جاء في تفسير (حدائق الرَّوح والرَّيحان): «وقوله: ﴿ذِي ٱلْجَلَٰلِ﴾؛ أي: ذي العظمة والكبرياء، ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾؛ أي: ذي الإفضال التَّامّ والإحسان العامّ، وُصِف به الرَّبُّ -عزَّ وجلَّ- تكميلًا لما ذُكِر من التَّنزيه والتَّقرير. وهو اسم الله الأعظم، وقال بعضهم: أسماء الله تعالى كلُّها أعظم لدلالتها على العظيم، فإنَّه إذا عظَّم الذات والمُسمَّى؛ عَظُمت الأسماءُ والصِّفات، و(يا ذا الجلال والإكرام) من الأسماء التي جاء في الحديثِ أن يُدعى اللهُ بها، فقد قال ﷺ: «**أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام**»(١). وقرأ الجمهور ﴿ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ علىَّ أنَّه صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾، وابن عامر وأهل الشَّام ﴿ذُو﴾ صفة للاسم، والمعنى: أي: تعالى ربُّك ذو الجلال والعظمة والتَّكريم على ما أنعم به، وتفضَّل من نِعَم غوال، ومِنَن عِظام»(٢).

المطلب الرابع: بيان تعظيم الله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في اسم وصفة (الخالق)

اختلف القُرَّاء في قراءة لفظ (خلق) في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾[إبراهيم: ١٩]، فقرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ ﴿خَٰلِقُ﴾، اسم فاعل، وقرأ بقية العشرة: ﴿خَلَقَ﴾، فعل ماض(٣).

تعرَّض بعض المفسِّرين الذين ذكروا اختلاف القراءات في هذه الآية لألفاظ التَّعظيم، تارة ببيان أنَّ سبب خلق السَّموات والأرض إنّما خُلقت لأمر عظيم. وتارة ببيان أنَّ الله لا يعجزه شيءٌ وإن كَبُر وعَظُم. وتارة ببيان كمال قدرة الله تعالى، فالذي يخلق تلك السَّموات والأرضين العظيمة -بما فيها من أجرام وكواكب- قادرٌ على أن يُهلك من شاء ويخلق ما يشاء، وذلك تمام العظمة والقدرة والعِزَّة. ومن هؤلاء المفسرين الذين تعرضوا

---

(١) أخرجه أحمد (١٧٥٩٦)، والطبراني (٤٥٩٤)، والحاكم (١٨٣٦)، من طرق: عن ربيعة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذَّهبيُّ.

(٢) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٨/ ٣٢٩).

(٣) والقراءتان متواترتان، ينظر: المبسوط (٢٥٦)، والنشر (٢/ ٢٩٨).

لذلك: الإمام البغويُّ، فقد قال: قرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿خالق السَّموات والأرض﴾، وقرأ الآخرون ﴿خَلَقَ﴾ على الماضي، فالله لم يخلق السَّموات والأرض باطلًا، وإنَّما خلقهما لأمر عظيم، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾[إبراهيم] فلا يصعب عليه شيء وإن جلَّ وعَظُم(١).

وقال الألوسي: وقرأ الأخوان ﴿خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بصيغة اسم الفاعل والإضافة، وجرِّ ﴿الأَرْضِ﴾، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[إبراهيم: ١٩] أورد -سبحانه- هذه الشرطية بعد أن ذكر خلقَه السَّموات والأرض= إرشادًا إلى طريق الاستدلال؛ فإنَّ من قدر على خلق مثل هاتيك الأجرام العظيمة، كان على إعدام المخاطبين وخلق آخرين بَدَلَهم أقدر؛ ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾[إبراهيم] فإنَّه -سبحانه وتعالى- قادرٌ بذاته. وهذه الآية بيانٌ لإبعادهم في الضَّلال، وعظم خطبهم في الكفر بالله تعالى؛ لوضوح آياته الشَّاهدة له الدَّالَّة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة، وأنَّه هو الحقيق بأن يؤمن به، ويرجى ثوابه، ويُخشى عقابه(٢).

وذكر ابن عاشور كلامًا قريبًا من هذا(٣).

فهذه جملةٌ من أقوال المفسرين الذين أبرزوا لفظ التَّعظيم في هذه الآية الكريمة، ولا شكَّ أنَّ هذه الألفاظ الواردة فيه دلالةٌ بيِّنةٌ وصريحةٌ على عظمة الله وعِزَّته، وكمال قدرته.

المطلب الخامس: بيان تعظيم الله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في اسم وصفة (القادر)

في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾[يس].

اختلف القُرَّاء في قراءة ﴿بِقَٰدِرٍ﴾، فقرأ رويسٌ عن يعقوبَ من العشرة هنا -في (يس)- ﴿يَقْدِرُ﴾، وبقية العشرة قرؤوا ﴿بِقَٰدِرٍ﴾(٤).

وقد ورد لفظ التَّعظيم في أكثر من تفسير عند بيان معنى هذه الآية، ومن ذلك ما جاء في (البحر المحيط): «ذكر اللهُ ما هو أبدعُ وأغربُ من خلق الإنسان من نُطفة، ومن إعادة الموتى، وهو إنشاء هذه

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن (٤/ ٣٤٣).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٧/ ١٩٤).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (١٣/ ١١٣-٢١٤).

(٤) والقراءتان متواترتان، ينظر: شرح طيبة النشر (٣٨١)، ومفردة يعقوب (٢٣١)، وقد نسبت هذه القراءة لغير العشرة أيضًا، ينظر: المبسوط (٣٧٣).

المخلوقات العظيمة الغريبة من صرف العدم إلى الوجود، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾؟ قرأ الجمهور: ﴿بِقَٰدِرٍ﴾، بباء الجرِّ داخلةٌ على اسم الفاعل. وقرأ الجَحْدَريُّ وابنُ أبي إسحاق والأعرجُ وسلامٌ ويعقوبُ: ﴿يَقْدِرُ﴾ فعلًا مضارعًا، أي: من قَدَر على خلق السَّموات والأرض من عظم شأنهما، كان على خلق الأناس أقدرُ»[(١)].

فهنا يُبْرِز الإمام أبو حيَّان عظمةَ الله من خلال بيان قدرته على خلق ما هو أعظم من البشر، وهي السَّموات والأرض وما فيهما من مخلوقات لا تُعَدُّ ولا تُحصى، من بحار وجبال ومحيطات، ونجوم وكواكب وأجرام ومجرَّات عملاقة، وملائكة وجنّ، وغير ذلك من المخلوقات التي هي أعظم وأكبر، وبمثله قال الشَّوكاني. وكلّ هذا يدلّ على عظمة القادر جلَّ جلاله، وقد جاء التَّعبير عن ذلك بصيغتين في الآية باسم الفاعل ﴿قَٰدِرٌ﴾ وبصيغة الفعل ﴿يَقْدِرُ﴾[(٢)].

المطلب السادس: بيان تعظيم الله من خلال توجيه القراءات في اسم وصفة (الرب)

قال الله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾﴾[الدخان].

قرأ الجمهور ﴿رَبُّ﴾ بالرفع، وقرأ الكوفيُّون ﴿رَبِّ﴾ بالجرِّ[(٣)].

قال الإمام الشَّوكانيُّ: «وصف -سبحانه- نفسه بما يدلُّ على عظيم قدرته الباهرة، فقال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، ﴿رَبُّ﴾ بالرَّفع عطفًا على ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، أو على أنَّه مبتدأ، وخبره: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[الدخان: ٨]، أو: على أنَّه خبرٌ لمبتدأ محذوف، أي: هو ربُّ. ﴿رَبِّ﴾ بالجرِّ: على أنَّه بدلٌ من ﴿رَّبِّكَ﴾، أو: بيانٌ له، أو نعتٌ»[(٤)].

---

(١) البحر المحيط (٩/ ٨٥).

(٢) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٤٠-٤٤١).

(٣) قرأ بالرَّفع نافعٌ وأبو جعفر وابنُ كثير وأبو عمرو ويعقوبُ وابنُ عامر، وقرأ بالجرِّ الكوفيُّون وهم عاصمٌ وحمزةُ والكِسائيُّ وخلفٌ، والقراءتان متواترتان، ينظر: البُدُور الزَّاهرة (٢٩١)، والمبسوط (٤٠١)، والنشر (٢/ ٣٧١).

(٤) فتح القدير (٤/ ٦٥٤).

يبيِّن الإمامُ الشَّوكاني هنا: أنَّ ربوبية الله -جلَّ وعلا- للسَّموات والأرض دليلٌ قاطعٌ وبرهانٌ دامغٌ على عظمة الله وقدرته. وسواء كانت القِراءة بالرَّفع أو الجرِّ؛ فإنّهما تدلَّان على عظمته سبحانه عزَّ وجلَّ، فمن جعلها عطفَ بيانٍ؛ فهي تدلُّ على الاسم، ومن جعلها نعتًا؛ فهي تدلُّ على الصِّفة، والله أعلم.

المطلب السابع: بيان تعظيم الله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في صفة (العظيم)

ورد خُلف القراءات في وصف الله والعرش معًا بصفة (العظيم) في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة]، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾﴾ [المؤمنون]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل].

قرأ العشرة في المواضع الثَّلاثة بالجرِّ في ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾، وقرأ ابنُ محيصن المكِّيُّ في الشَّواذِّ بالرَّفع ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾، ورُويت هذه القراءة عن ابن كثير أيضًا لكن من طرق شاذَّة[(١)].

من خلال الاطِّلاع على تفسير الآيات؛ نجد أنَّ علماء التَّفسير قد أبرزوا تعظيم الله -جلَّ وعلا- أثناء تفسيرهم وتوجيههم للقراءات الواردة في هذه الآيات، فعلى قراءة الرَّفع تكون صفة ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ عائدة على ﴿رَبُّ﴾؛ وهي دلالة صريحة على تعظيمه سبحانه وتعالى، فقد وصف اللهُ نفسَه بالعظيم نصًّا، وعلى قراءة الجمهور (العَشَرَة) بالجرِّ، تكون صفة ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ للعرش، فوصف بأنَّه أعظم المخلوقات، وذِكْرُه يغني عن غيره، وفيه دلالةٌ على عظمة صاحبه وخالقه.

ومن أمثلة ذلك: ما جاء في (المحرر الوجيز): «وخُصِّصَ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ بالذِّكر؛ إذ هو أعظم المخلوقات، وقرأ ابنُ محيصن ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ برفع الميم صفة للرَّبِّ، ورُويت عن ابن كثير»[(٢)].

وفي تفسير (حدائق الرَّوح والرَّيحان): «قرأ الجمهور: ﴿ٱلْعَظِيمِ﴾ بالجرِّ نعتًا لـ ﴿ٱلْعَرْشِ﴾، وقرأ ابنُ محيصن والضَّحاك بالرفع نعتًا للرَّبِّ، وخُصَّ العرشُ بالذِّكر؛ لأنَّه أعظم المخلوقات، كما

---

(١) إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز (٤٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٠٨)، ومفردة ابن محيصن المكي (١٢٢)، وشواذّ القراءات (٢٢٣)، ومختصر في شواذّ القرآن (٦١).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ١٠٠).

ثبت ذلك في الحديث المرفوع إلى رسول الله ﷺ[١]، ووصفه بالعظيم؛ لأنَّه أعظم ما خلق الله سبحانه من الأجرام، وما سواه في ضمنه»[٢].

وجاء في (محاسن التَّأويل): «(وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) أي المحيط بكل شيء، يأتي منه حكمه وأمره إلى الكل، وتخصيصه لكونه أعظم المخلوقات، فيدخل ما دونه، وقرئ (العظيم) بالرفع، على أنه صفة الرب جل وعزّ»[٣].

المطلب الثامن: بيان تعظيم الله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في صفة (الكريم)

ورد وصف الله -جلَّ وعلا- ووصف العرش معًا بصفة (الكريم) في موضع واحد في القرآن، وهو في قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[المؤمنون].

وفي هذه الآية قرأ العشرة بالجرِّ في ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ على أنَّه صفة للعرش، وقرأ ابنُ محيصن المكِّيُّ في الشَّواذِّ بالرَّفع ﴿ٱلْكَرِيمُ﴾ على أنَّه صفة لـ ﴿رَبُّ﴾، ورُويت هذه القراءة عن ابن كثير من طرق شاذَّة[٤].

وقد فسَّر المفسِّرون ﴿ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ على قراءة العشرة بأنَّ العرشَ أعظمُ المخلوقات، ووصف بالكريم لشرفه، ونسبته إلى أكرم الأكرمين، ولنزول القرآن والخير منه، وتعظيمُ العرش تعظيمٌ لله، وهذه بعض النَّماذج من أقوال المفسِّرين:

جاء في (فتح البيان): «﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾؛ فكيف لا يكون إلهًا وربًّا لما هو دون العرش الكريم، وما تحته من المخلوقات، وما أحاط به من الموجودات، كائنًا ما كان، ووُصِف العرشُ بالكريم لنزول القرآن أو الرَّحمة أو الخير منه، أو باعتبار من استوى

---

(١) عن أبي ذرٍّ الغِفاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**يا أبا ذرٍّ، ما السَّمواتُ السَّبعُ مع الكرسيِّ إلَّا كحَلْقةٍ مُلقاةٍ بأرضٍ فلاةٍ، وفضلُ العرشِ على الكرسيِّ كفضلِ تلك الفلاةِ على تلك الحلْقةِ**».
أخرجه مطوَّلًا: أبو نعيم في (حلية الأولياء ١/ ١٦٦)، وابن حِبَّان (٣٦١)، وصحّحه الألبانيُّ في (الصّحيحة: ١٠٩).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان (٢٠/ ٤١٨).

(٣) محاسن التأويل (٥/ ٥٣٤).

(٤) إيضاح الرُّموز ومفتاح الكنوز (٤٣١)، وإتحاف فضلاء البشر (٣٠٨)، ومفردة ابن محيصن (١٣٧)، وشواذّ القراءات (٣٣٨)، ومختصر في شواذ القرآن (٦١).

عليه، كما يقال: بيتٌ كريمٌ: إذا كان ساكنوه كرامًا، أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين؛ من حيثُ أنَّه أعظم مخلوقاته. وقرئ ﴿ٱلۡكَرِيمُ﴾ بالرفع على أنه نعتٌ لـ﴿رَبُّ﴾»[١].

وفي (محاسن التَّأويل): «﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ أي: العظيم المجيد، وقرئ بالرَّفع»[٢].

وجاء في (مفاتيح الغيب): «﴿رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ قال أبو مسلم: و﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾ هاهنا السَّموات بما فيها من العرش الذي تطوف به الملائكة، ويجوز أن يُعني به المُلك العظيم، وقال الأكثرون: المراد هو العرش حقيقةً، وإنَّما وصفه بالكريم؛ لأنَّ الرَّحمة تنزل منه والخير والبركة، ولنسبته إلى أكرم الأكرمين، كما يقال: بيتٌ كريمٌ: إذا كان ساكِنوه كِرامًا. وقرئ ﴿ٱلۡكَرِيمُ﴾ بالرفع»[٣].

المطلب التاسع: بيان تعظيم الله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في صفة (المجيد)

ورد وصف العرش بالمجيد في موضع واحد في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾[البروج].

قرأ حمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ بالخفض: ﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾، وقرأ الباقون بالرفع ﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾[٤].

ذكر كثيرٌ من المفسِّرين اختلافَ القُرَّاء في قراءة لفظ (المجيد)، هل هو صفة لربِّك، أو صفة للعرش، فقراءة حمزةَ والكسائيِّ وخلفٍ على الخفض على أنَّه صفة للعرش، ومعناه علوّه وعظمته. ولا شكَّ أنَّ عظمته تدلُّ على عظمة خالقه، كما أنَّ المفسِّرين فسَّروا قراءة الرَّفع بأنَّ مجد الله عظمتُه، وسنذكر هنا نماذجَ من أقول المفسِّرين، ومن ذلك:

ما جاء في (أنوار التنزيل): «الْمَجِيدُ العظيم في ذاته وصفاته، فإنه واجب الوجود تام القدرة والحكمة، وجره حمزة والكسائي صفة لـ(رَبِّكَ)، أو لـ(الْعَرْشِ)، ومجده علوه وعظمته[٥].

ومثل هذا القول ذُكر في (مدارك التَّنزيل)[٦].

---

(١) فتحُ البيان في مقاصد القرآن (٩/ ١٥٨).

(٢) محاسن التأويل (٧/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٣/ ٣٠٠).

(٤) ينظر: الكنز في القراءات العشر (٣/ ٦٢٥)، وشرح طيبة النشر (٢/ ٦١٥).

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٥/ ٣٠١).

(٦) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٦٢٥).

وجاء في (الكشف والبيان): «﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ١٥﴾: السَّرير العظيمُ، وقال ابن عبَّاس وقتادة: الكريمُ. واختلف القُرَّاء فيه؛ فقرأ يحيى وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ بجرِّ الدَّالِّ على نعت العرش. غيرهم بالرَّفع على صفة الغفور»[١].

وكذلك فُسِّر ﴿ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ بالسَّرير العظيم في (معالم التَّنزيل، والكشاف)[٢]، وفي (فتوح الغيب) ذكر عظمة الله، فقال: «قرئ: ﴿ٱلۡمَجِيدِ﴾ بالجرِّ صفة للعرش، ومجدُ الله: عظمته»[٣].

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ١٧٥).
(٢) ينظر: معالم التنزيل (٥/ ٢٣٧)، والكشاف (٨/ ٣٨٨).
(٣) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب (١٦/ ٣٧٥).

المبحث الثالث: بيان تعظيم الله -عز وجل- من خلال توجيه القراءات في أفعاله

لقد اعتنى علماء التَّفسير عنايةً بالغةً من خلال تفسيراتهم لأفعال الله المجيدة، واهتموا بإبراز تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلالها تصريحًا وتلميحًا، وهذا الباب واسعٌ جِدًّا؛ لذا سيقتصر الباحثان على ذكر نماذج من الأفعال الواردة بنون العظمة (نون الفاعلين).

المطلب الأول: بيان تعظيم الله من خلال تفسير وتوجيه القراءات في الفعل (أشهدنا)

قال الله تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١ ﴾[الكهف].

قرأ أبو جعفر ﴿أَشْهَدْنَاهُمْ﴾ بعد الدَّال نونٌ ثمّ ألفٌ، وتُسمَّى نون العظمة، وقرأ الباقون: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ﴾ بتاء بعد الدَّال، والقراءتان متواترتان[1].

قال القرطبيُّ: وقرأ أبو جعفر: ﴿مَا أَشْهَدْنَاهُمْ﴾ بالنُّون والألف على التَّعظيم[2].

وقال ابن عاشور: وقرأ أبو جعفر ﴿مَا أَشْهَدْنَاهُمْ﴾ بنون العظمة [3].

وقال الثَّعلبيُّ: وقرأ أبو جعفر: ﴿مَا أَشْهَدْنَاهُمْ﴾ بالنُّون والألف على التَّعظيم[4].

وقال السَّمين الحلبيُّ: «وقرأ أبو جعفر وشيبةُ والسَّختياني في آخرين: ﴿أَشْهَدْنَاهُمْ﴾ على التَّعظيم»[5].

عَبَّرَ المفسِّرون عن قراءة أبي بجعفر بالجمع على أنَّها بنون العظمة. وذلك؛ لبيان عظمة الله في التَّفرُّد والخلق والعلم والحكمة والتَّدبير، فكيف مَن هذه صفته أن يكون له شريكًا سبحانه جلَّ وعزَّ.

المطلب الثاني: بيان تعظيم الله -عز وجل- من خلال توجيه القراءات في الفعل (خلقنا)

قال تعالى: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩ ﴾[مريم].

---

(١) ينظر: شرح طيبة النشر (٣٣٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١١/ ٢).

(٣) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٤٣).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٦/ ١٧٧).

(٥) الدُّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون (٧/ ٥٠٨).

قرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿خَلَقْنَاكَ﴾ بنون مفتوحة وبعدها ألف، وقرأ الباقون: ﴿خَلَقْتُكَ﴾ بتاء مضمومة وحذف الألف، والقراءتان متواترتان(١)

قال البغوي: «﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ قرأ حمزة والكسائي ﴿خَلَقْنَاكَ﴾ بالنون والألف على التعظيم»(٢)، وفي (الدُّرِّ المصون): « قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ﴾ هذه جملة مستأنفة، وقرأ الأخَوَان ﴿خَلَقْنَاكَ﴾ أسنده إلى الواحدِ المعظِّمِ نفسَه، والباقون ﴿خَلَقْتُكَ﴾ بتاءِ المتكلِّم»(٣).

وذلك لبيان عظمة الله وقدرته في الخلق، يخلق ما يشاء وكيفما يشاء، من أصل أو من غير أصل، لذا يذكر أبو السُّعود في (تفسيره) أنَّ إبداع آدمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وخلقه من عدم هو إبداعٌ لكلِّ واحد من فروعه، ولمّا كان خلقه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ على هذا النَّمط السَّاري إلى جميع أفراد ذُرِّيته= كان ذلك أدلَّ على عِظَم قدرته تعالى، وكمال علمه وحكمته. فكأنَّه قيل: وقد خلقتك من قبلُ في تضاعيف خلق آدم، ولم تكن إذ ذاك شيئًا أصلًا، بل عدمًا بحتًا، ونفيًا صرفًا(٤)

المطلب الثالث: بيان تعظيم الله من خلال توجيه القراءات في الفعل (فسوء)

قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾[الإسراء: ٧].

قرأ ابنُ عامر وحمزةُ وخلفٌ وشعبةُ بالياء وفتح الهمزة ﴿لِيَسُوءَ﴾ على لفظ الواحد، وقرأ الكِسائيُّ بالنُّون ونصب الهمزة ﴿لِنَسُوءَ﴾ على لفظ الجمع للمتكلِّمين، وقرأ الباقون بالياء، وضمِّ الهمزة، وبعدها واو الجمع ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟﴾(٥).

قال القرطبيُّ: «وقرأ الكسائيُّ ﴿لِنَسُوءَ﴾ بنون وفتح الهمزة، فعلٌ مخبرٌ عن نفسه معظّم»(٦).

وقال صاحب (اللُّباب): «والكسائي بنون العظمة، أي: لِنَسُوء نحنُ»(٧).

---

(١) ينظر: النَّشر في القراءات العشر (٢/ ٣١٧).

(٢) معالم التنزيل (٣/ ٢٢٦).

(٣) الدُّرّ المصون (٧/ ٥٧٣).

(٤) ينظر: إرشاد العقل السَّليم (٥/ ٢٥٧-٢٥٨).

(٥) القراءات الثَّلاث المذكورة كلّها متواترة. ينظر: النَّشر (٢/ ٣٠٦)، والمبسوط (٢٦٧).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٢٣).

(٧) اللباب في علوم الكتاب (١٢/ ٢١٥).

وذكر نحو ذلك أكثر المفسِّرين، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ القِراءة بنون التَّعظيم؛ فيها بيانُ قدرة الله تعالى وعظمته في إهلاك العُصَاة.

المطلب الرابع: بيان تعظيم الله من خلال توجيه القراءات في الفعل (نحشر)

الفعل ﴿نَحۡشُرُهُمۡ﴾ ورد في أكثر من موضع، وقد اختلف القُرَّاء في قراءته بين النُّون والياء، وهذا الخُلف بين القُرَّاء مختلِفٌ من موضع لآخر، وسنكتفي هنا بذكر موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾[يونس: ٤٥].

ففي هذه الآية: قرأ حفصٌ وحده بالياء ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾، والباقون بالنون ﴿نَحۡشُرُهُمۡ﴾، والقراءتان متواترتان.

فالقراءة بنون العظمة تدلُّ على عظمة الله تعالى يوم المحشر، فهو عظيمٌ في رحمته ولطفه بعباده، وهو عظيمٌ في سطوته بمَن جحده وعصاه، وهو عظيمٌ في قدرته على حشر كلّ الخلائق في مكان واحد ووقت واحد، وهو عظيمٌ في قدرته على الحساب في وقت واحد، وهو عظيمٌ في قدرته على إحصاء كلّ صغيرة وكبيرة، فكلّ مشهد من مشاهد يوم القيامة دالٌّ على عظمته وقدرته وسلطانه ووحدانيته.

وممَّن أشار إلى التَّعظيم في هذا الموقف عند تفسير وتوجيه هذه القراءة الإمامُ ابن عاشور، فقد قال: «وقرأ الجمهور ﴿نَحۡشُرُهُمۡ﴾ بنون العظمة، وقرأه حفص عن عاصم بياء الغَيبة[1]، فالضَّمير يعود إلى اسم الجلالة في قوله قبله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾[يونس: ٤٤]»[2].

وأخيرًا؛ فإنَّ الكثير من المواضع التي ذكرت فيها قراءات تتعلَّق بأفعال الله، وبيَّن فيها المفسِّرون أنّها تدلّ على عظمة الله كثيرة جدًّا، يمكن أن تكتب في عِدَّة أبحاث من أهل الاختصاص.

---

(١) ينظر: شرح طيبة النشر (٢٨٢)، أمَّا كلمة ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ في المواضع الأخرى؛ ففيها خلاف في قراءتها غير الذي في هذه الآية.

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ١٨١).

المبحث الرابع: بيان تعظيم الله -عز وجل- من خلال توجيه القراءات في أفعال مخلوقاته

المطلب الأول: بيان تعظيم الله في هيبته تعالى وإجلاله

إنَّ السَّموات والأرض وما فيها من مخلوقات عظيمة تذعن لله بالتَّقديس والتَّمجيد والتَّعظيم والإجلال، بل تكاد تتشقق وتتفطر-إلى قطع صغيرة رغم ضخامتها- إعظامًا وإجلالًا وإكبارًا لله.

وردت في كلام المفسرين نصوصٌ كثيرةٌ من هذا الباب، ومن ذلك: ما جاء في (الكشاف) في تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾[الشورى].

قرئ: ﴿تَكَادُ﴾ بالتَّاء والياء. و﴿يَنْفَطِرْنَ﴾، و﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾[1].

وروى يونسُ عن أبي عمرو قراءةً غريبةً: ﴿تَتَفَطَّرْنَ﴾ بتاءين مع النُّون، ومعناه: يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته. يدلُّ عليه مجيؤه بعد العليِّ العظيم. وقيل: مِن دعائهم له ولدًا، كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾[مريم: ٩٠].

فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿مِن فَوْقِهِنَّ﴾؛ قلتُ: لأنَّ أعظمَ الآيات، وأدلَّها على الجلال والعظمة: فوقَ السَّماوات، وهي: العرش والكرسي، وصفوف الملائكة المرتجة بالتَّسبيح والتَّقديس حول العرش، وما لا يعلم كنهه إلَّا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى[2].

هنا يُبْرِز الزَّمخشريُّ -كغيره من المفسرين- عظمةَ الخالق سبحانه وتعالى، وأنَّ السَّموات بعظمتها وفخامتها= تكاد أن تتشقَّق هيبةً وجلالًا لعظمة الله، وقد عبَّر الله عنها بصيغتي التَّذكير والتَّأنيث ﴿يَكَادُ﴾ و﴿تَكَادُ﴾؛ وبصيغتي التفطُّر والانفطار، وأكد الزَّمخشريُّ هذا التَّعظيم بذكره أعظمَ الآيات الدَّالَّة على عظمة الله، وهي العرش والكرسيُّ والملائكة، كما أبرز آثار ملكوت الله العظمى.

---

(١) قرأ نافعٌ والكسائيُّ: ﴿يَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾، وقرأ أبو عمرو ويعقوب وشعبة: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَنْفَطِرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾، وقرأ بقية العشرة: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾، والقراءتان متواترتان، ينظر: إتحاف فضلاء البشر (٢٨٥).

(٢) الكشاف (٤/ ٢٠٨-٢٠٩).

إنَّ تكرير لفظ التَّعظيم في تفسير هذه الآية يدلُّ دلالةً بالغةً على حرص المفسِّرين على إبراز تعظيم الله، وتأكيد ذلك مرارًا في الآية الواحدة.

المطلب الثاني: بيان تعظيم الله في التعزير والتوقير

في قوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾[الفتح].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ في الأربعة الأفعال، وقرأ بقية العشرة بالتَّاء، والقراءتان متواترتان[1].

واختلف أهل التَّفسير في عودة هاء الضَّمير، فمنهم من قال: إنَّ الضَّمير في ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعود على النَّبيِّ ﷺ، أي: تعظِّموه وتفخِّموه، ومنهم من قال يعود الضَّمير في الثلاثة الأفعال على الله، وعلى هذا يكون معنى ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾، أي: تثبتوا له صِحَّة الرُّبوبية، وتنفوا عنه أن يكون له ولدٌ أو شريكٌ.

وعلى القراءتين؛ فإنَّ معنى التَّعزير والتَّوقير هو تعظيم الله وتفخيمه وإجلاله، فأمَّا عودة الضَّمير إلى الله، فهذا بيِّنٌ في التَّعظيم والتَّمجيد لله. وأمَّا عودة الضَّمير إلى النَّبيِّ ﷺ، فمعناه تعظيم النَّبيِّ ﷺ وتبجيله، وذلك تعظيمٌ لله، ومن نماذج أقوال المفسرين في هذا المقام ما يلي:

جاء في (الجامع لأحكام القرآن): ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قرأ ابنُ كثير وابنُ محَيصن وأبو عمرو بالياء، وكذلك: وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ كلّه بالياء على الخبر. الباقون بالتَّاء على الخطاب، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تعظِّموه وتفخِّموه، قاله الحسن والكلبيُّ. والتَّعزير: التَّعظيم والتَّوقير. وقال قتادة: تنصروه، وتمنعوا منه. ومنه: التَّعزير في الحدِّ؛ لأنَّه مانعٌ. وقال ابنُ عبَّاس وعكرمة: تقاتلون معه بالسَّيف. وقال بعض أهل اللُّغة: تطيعوه. ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تُسوِّدُوه، قاله السُّدِّيُّ. وقيل: تعظِّموه. والتَّوقير: التَّعظيم والتَّرزين أيضًا، والهاء فيهما للنَّبيِّ ﷺ. وهنا وقفٌ تامٌّ، ثمَّ تبتدئ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تسبِّحوا الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[2].

---

(١) ينظر: شرح طيبة النشر (٣٩٤-٣٩٥)، الوافي في شرح الشاطبية (٢٩٦)، وغيث النفع في القراءات السبع (٥٤٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٢٦٥-٢٦٦).

وفي (بحر العلوم): «﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تُعظِّموا النَّبيَّ ﷺ ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعني: تُصَلُّوا لله تبارك وتعالى ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يعني: غدوة وعشيًا. فكأنه قال: لتؤمنوا بالله وتُسبِّحُوه، وتؤمنوا برسوله، وتُعزِّرُوه وتوقِّرُوه، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: وَيُعَزِّرُوهُ وَيُوَقِّرُوهُ وَيُسَبِّحُوهُ كلّها بالياء على معنى الخبر عنهم، وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة»[(١)].

وفي (التفسير المأمون): «﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ فيه تأويلان ممكنان حسب عودة الضمائر: التأويل الأول: الضَّمير -الهاء- يعود إلى الله تعالى. فيكون المعنى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: تؤيِّدُوا دينَه، وتُقِرُّوه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي: تعظِّموه. وقيل: أي تُثبتوا له صِحَّة الرُّبوبية وتَنفوا عنه أن يكون له ولدٌ أو شريكٌ -حكاه القشيريُّ-. التَّأويل الثَّاني: الضمير -الهاء- يعود إلى الرَّسول ﷺ، قال ابن عبَّاس: وَيُعَزِّرُوهُ يعني: الإجلال، وَيُوَقِّرُوهُ يعني: التعظيم، وهي في قراءة أبي جعفر المدني وأبي عمرو بن العلاء بالياء[(٢)]: (لِيُؤمِنُوا، ويُعَزِّرُوهُ، وَيُوَقِّرُوهُ، وَيُسَبِّحُوهُ). وأمَّا عامَّة القُرَّاء فقراءتهم بالتَّاء، وهو الأشهر[(٣)].

المطلب الثالث: بيان تعظيم الله بتقديم شرعه وأمره

في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الحُجُرات: ١].

قرأ يعقوبُ الحضرميُّ: ﴿لا تَقَدَّمُوا﴾ بفتح التَّاء والدَّال، وقرأ بقية العشرة: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ بضمّ التَّاء وكسر الدَّال، والقراءتان متواترتان[(٤)].

جاء في (أنوار التنزيل): «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ أي: لا تُقَدِّمُوا أمرًا، فحُذف المفعول ليذهب الوهم إلى كلِّ ما يمكن، أو تُرِك؛ لأنَّ المقصود نفي التَّقديم رأسًا، أو لا تتقدَّمُوا، ومنه مقدمة الجيش لمتقدميهم، ويؤيِّده قراءةَ يعقوب: ﴿لا تَقَدَّمُوا﴾. وقرئ: ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ من القُدوم. والمعنى: لا تقطعوا أمرًا قبل أن يُحكم به، وقيل المراد بين يدي رسول الله ﷺ، وذكرُ الله تعظيمٌ له، وإشعارٌ بأنَّه من الله بمكان يوجب إجلاله»[(٥)].

---

(١) بحر العلوم (٣/ ٣١٣).
(٢) بل هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالياء، أمّا قراءة أبي جعفر من المتواتر فهي بالتاء، كما تمّت الإشارة إلى ذلك في بداية المطلب.
(٣) التفسير المأمون (٥/ ٣٤٠).
(٤) ينظر: تحبير التيسير (٥٦٢)، وشرح طيبة النشر (٣٩٥-٣٩٦).
(٥) أنوار التنزيل (٥/ ١٣٣).

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات

أولا: النتائج

١- ورد في هذا البحث في بيان تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال توجيه القراءات في أسمائه وصفاته دراسة أقوال المفسرين في أحد عشر اسمًا وصفةً، وهي: الله، الوَلاية، الحقّ، الجلال، الإكرام، الخالق، القادر، الرَّبّ، العظيم، الكريم، المجيد. ورد في كلٍّ منها قراءتان:

أ- منها: ما نصَّ المفسِّرون صراحة على دلالة اختلاف القراءتين فيها على التعظيم، وهي: الله، الجلال، العظيم، المجيد.

ب- ومنها: ما أشار المفسِّرون إلى دلالة اختلاف القراءتين على التَّعظيم فيها، وهي: الوَلاية والحقّ، فقد عبَّروا عن التَّعظيم هنا بالقهر والملك والسُّلطان.

ج- ومنها: ما نصَّ المفسِّرون على التَّعظيم صراحةً، ولكن لم يربطوا ذلك بدلالة اختلاف إحدى القراءتين، وإنَّما بناء على المعنى العامّ للقراءتين، وهي: الخالق، القادر، الرَّبّ، الإكرام، الكريم.

٢- جميع الأسماء والصِّفات الأحد عشر التي تناولها البحثُ تعود على الله عزَّ وجلّ باستثناء أربع صفات، وهي: العظيم، والكريم، والمجيد، والحقّ. فقد وردت الصِّفات الثَّلاثة الأولى في قراءةٍ وصفًا لله تعالى، وفي القراءة الأخرى وردت وصفًا للعرش، واستدلّ بها المفسِّرون على أنَّ تعظيم العرش هو تعظيمٌ لله عزَّ وجلَّ. أمّا الصِّفة الرَّابعة وهي (الحقّ)، فقد وردت في قراءةٍ وصفًا لله تعالى، وفي القراءة الأخرى وصفا لـ (الوَلاية).

٣- ورد في هذا البحث في بيان تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال توجيه القراءات في أفعال الله -عزَّ وجلَّ- دراسة أقوال المفسِّرين في أربعة أفعال، وهي: أشهدنا، خلقنا، نسوء، نحشر. وفي جميع هذه الأفعال أشار المفسِّرون إلى تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- بناءً على ورود الأفعال بنون التَّعظيم.

٤- ورد في هذا البحث في بيان تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال توجيه القراءات في أفعال مخلوقات الله -عزَّ وجلَّ- دراسة أقوال المفسِّرين في: هَيبة الله وإجلاله، وتعزيره

وتوقيره، وتقديم شَرعه وأمره. وفي كلِّ هذه المواضع أظهر المفسِّرون تعظيم الله عزَّ وجلَّ من خلال الدّلالة العامَّة للقراءات على دلالة كلِّ قراءة.

٥- اختلاف طرق ومناهج المفسِّرين في بيان التِّعظيم من خلال تفسيرهم للقراءات، وهم في ذلك بين مقلّ ومكثر.

٦- تبيَّن من خلال الدِّراسة بشكل عامّ أنَّ أغلب المفسِّرين لا يركِّزون على إبراز تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال دلالة كلّ قراءة، ولكن من خلال الدّلالة العامّة المشتركة بين جميع القراءات، إلَّا في مواضع يسيرة تمَّتِ الإشارة إلى بعضها في البحث.

٧- هناك بعضُ المفسِّرين لا يشيرون إلى دلالة الآيات على التَّعظيم، لا من خلال دلالة كلِّ قراءة، ولا من خلال الدَّلالة العامَّة المشتركة بين جميع القراءات.

ثانيا: التَّوصيات

١- توجيه الأبحاث في مجال القراءات في الجامعات، ومراكز البحث إلى التّركيز على إبراز تعظيم الله -عزَّ وجلَّ- من خلال دلالة كلّ قراءة من القراءات الواردة في الآيات التي تشتمل على التعظيم.

٢- حصر جميع أسماء الله -عزَّ وجلَّ- وصفاته وأفعاله التي ورد فيها اختلاف القراءات، ودراستها وتحليلها، ضمن مجموعة أبحاث محكمة ورسائل علمية.

٣- العمل على إعداد كتب في توجيه القراءات تركِّز على التَّوجيه الدِّلالي وتثري مسائل التَّعظيم.

هذا؛ وأسأل اللهَ أن يكتبَ لهذا البحث ولأصحابه القبولَ والغفران، والحمد لله ذي العِزَّة والكبرياء والعظمة، وصلَّى الله وبارك وسلَّم على نبيِّه محمَّد وآله وصحبه.

المصادر والمراجع

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد الدمياطيّ، الشهير بالبناء، (تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية-لبنان، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٦م-١٤٢٧هـ).

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، (دار إحياء التراث العربي – بيروت).

٣- اشتقاق أسماء الله، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، (تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٤- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، (تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٨ هـ).

٥- إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، محمد بن خليل القباقبي، (تحقيق: أحمد شكري، دار عمار، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٦- بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (دط، دت).

٧- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ).

٨- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، (دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان).

٩- تحبير التيسير في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (تحقيق: د. أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان-الأردن، عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

١٠- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ).

١١- التعريفات، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني، (ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

١٢- التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون-تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصلين العظيمين-الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة-على فهم الصحابة والتابعين. تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، مأمون حموش، (التدقيق اللغوي: أحمد راتب حموش، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧ م).

١٣- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي مهدي، (تحقيق: دار طوق النجاة، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م).

١٤- توجيه مشكل القراءات العشرية، عبد العزيز بن علي الحربي، (دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة، الأولى١٤٣٣-٢٠١٢).

١٥- التيسير في القراءات السبع، عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، (تحقيق: اوتو تريزل، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ-٢٠٠١ م).

١٧- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، (تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ-٢٠٠٠ م).

١٨- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية-القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م).

١٩- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم الأصبهاني، (القاهرة: دار السعادة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

٢٠- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، (تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق).

٢١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود بن عبد الله الألوسي، (تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية-بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ).

٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، (الرياض: مكتبة المعارف الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م).

٢٣- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت).
٢٤- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).
٢٥- شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّوَيْري، (تحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ-٢٠٠م).
٢٦- شرح طيبة النشر، أحمد بن محمد بن الجزري-ابن الناظم-، ص٣٢١. (تحقيق: جمال الدين شرف، دار الصحابة للتراث، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).
٢٧- شواذ القراءات، محمد بن أبي نصرالكرماني، ص٢٢٣، (تحقيق: شمران العجلي، مؤسسة البلاغ، لبنان-بيروت).
٢٨- الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (المملكة العربية السعودية: الحرس الوطني السعودي، الطبعة الأولى، د.ت).
٢٩- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م).
٣٠- صحيح البخاري-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه-، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، (القاهرة: دار طوق النجاة-مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي-، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ).
٣١- صحيح مسلم-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله-ﷺ-، مسلم بن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).
٣٢- العون الكبير شرح الفوز الكبير في أصول التَّفسير، سعيد أحمد بن محمد يوسف البالنبوري، (المكتبة الوحيدية بديوبند، الهند).
٣٣- غيث النفع في القراءات السبع، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي، (تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤ م).

٣٤- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان القِنَّوجي، (عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا-بَيروت، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م).

٣٥- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، (دار ابن كثير، دار الكلم الطيب-دمشق، بيروت الطبعة: الأولى-١٤١٤ هـ).

٣٦- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب-حاشية الطيبي على الكشاف-، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، (جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ-٢٠١٣ م).

٣٧- فن التوجيه عند المفسرين، عبد السلام بن مقبل المجيدي، (مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد١٦، ١٤٢٩-٢٠٠٨).

٣٨- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ-٢٠٠٥م).

٣٩- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، (دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٠٧ هـ).

٤٠- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ-٢٠٠٢ م).

٤١- الكنز في القراءات العشر، أبو محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه، (تحقيق: د. خالد المشهداني، مكتبة الثقافة الدينية-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ-٢٠٠٤م).

٤٢- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م).

٤٣- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، (دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤١٤ هـ).

٤٤- المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، (تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق، ١٩٨١ م).

٤٥- محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق القاسمي، (تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه-بيروت، الطبعة: الأولى-١٤١٨ هـ).
٤٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي المحاربي، (تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة: الأولى-١٤٢٢ هـ).
٤٧- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، (تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-الدار النموذجية، بيروت – صيدا الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م).
٤٨- مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، ص٦١، (مكتبة المتنبي، القاهرة).
٤٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م).
٥٠- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المشهور بـ تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد حافظ الدين النسفي، (تحقبق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨ م).
٥١- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن محمد الحاكم النيسابوري، (تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١١-١٩٩٠).
٥٢- المسند، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠١ م).
٥٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، (حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م).
٥٤- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، (تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٤ م).
٥٥- معجم اللغة العربية المعاصر، (أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ-٢٠٠٨ م).

٥٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
٥٧- مفاتيح الغيب المشهور بالتفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي، (دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٢٠ هـ).
٥٨- مفردة ابن محيصن المكي، الحسن بن علي الأهوازي، (تحقيق: عمار أمين الددو، مجلة الأحمدية، العدد: ٢٢، محرم ١٤٢٧هـ).
٥٩- مفردة يعقوب، عبد الرحمن ابن الفحام، (تحقيق: إيهاب فكري، خالد أبو الجود، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م).
٦٠- منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (الكويت: الدار السلفية، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٦١- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]).
٦٢- الوافي في شرح الشاطبية، عبد الفتاح عبد الغني القاضي، ص٢٩٦، (دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، الطبعة الثامنة، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م).